المهـــــمّـــة

(بقعة صحراوية خالية. تقوم فى وسطها هضبة صخرية.
أمام الهضبة يتمشى شاب جيئة وذهابا وهو ينظر فى ساعته من آن لآن. الوقت أصيل. الشاب أنيق بدرجة ملحوظة. والجو يوحى بأنه ينتظر موعدا غراميا.

يترامى من الخارج وقع أقدام ثقيلة. الشاب يرهف السمع فى قلق، وباقتراب الأقدام يتجهم وجهه ويتوقف عن المشى فيلزم مكانه أمام الهضبة.

يدخل رجل فى الخمسين، مهمل الهندام، ولكنه قوى البنية يلقى على الشاب نظرة عابرة ثم يمضى إلى يسار الهضبة فيقف متطلعا إلى الخلاء.

الشاب ينظر صوب الرجل مقطبا ولكن الآخر يبدو وكأنه لا يشعر له بوجود. يقترب منه خطوة).

الشاب : (مخاطبا الرجل بصوت مرتفع لا يخلو من تحد وغضب)
: ماذا تريد؟
(يظل الرجل رانيا إلى الخلاء كأنما يسمع صوتا)
: (بصوت أشد ارتفاعا) إنى أسألك عما تريد.
(الرجل يبدو مستغرقا فى الأفق، ويترنم مغنيا)
والله زمان زمان والله..

: (بحدة حانقة) لماذا تتبعنى؟

(الرجل يواصل ترنمه فى هيمان)

: إننى أخاطبك وأنت تعلم ذلك، لا أحد سوانا فى هذا الخلاء.

الرجل : (ملتفتا فى دهشة) حضرتك تخاطبنى؟

الشاب : دون سواك.

الرجل : معذرة، ماذا قلت؟

الشاب : إنى أسألك عما تريد منى.

الرجل : (متظاهرا بالدهشة) أنا؟!

الشاب : أنت، أنت دون سواك.

الرجل : عجيب سؤالك يا سيدى، أنا لا أريد منك أى شىء.

الشاب : لم إذن تتبعنى بإصرار؟

الرجل : أتبعك، إنى أراك لأول مرة فى حياتى!

الشاب : (بعناد) إنك تتبعنى منذ الصباح الباكر، ولم تكف عن تتبعى حتى هذه اللحظة من الأصيل

الرجل : أنت مخطئ فى ظنك فأنا لم أرك وبالتالى لم أتبعك.

الشاب : لم أذهب إلى مكان إلا رأيتك قادما فى أثرى.

الرجل : لا يحق لى أن أكذبك ولكنى لم أرك ولم أتبعك.

الشاب : (بنبرة لا تخلو من تهكم) أهى مجرد مصادفة؟

الرجل : سمها كيفما شئت.

(صمت. يعود الرجل إلى النظر صوب الأفق أما الشاب فلا يبرح مكانه ولا يكف عن النظر إليه).

الشاب : هل تتفضل بإخبارى عن الجهة التى تنوى الذهاب إليها بعد هذه الوقفة؟

الـــرجــــل : (ملتـفـتا نحـوه فى دهشـة) بأى حق تسـألنى هذا السـؤال الغريب؟!

الـشـــــاب : معذرة، أود التخلص من فكرة اتباعك لى .

الـــرجــــل : أنا لا أعرفك، لم أتبعك، وفى هذا الكفاية .

الـشـــــاب : ألم توجد فى ميدان القلعة صباحا؟

الـــرجــــل : بـــلى .

الـشـــــاب : ألم تتناول فطورك فى مطعم . . فلافل . . بشارع محمد على؟

الـــرجــــل : بـــلى .

الـشـــــاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى مقهى الشمس؟

الـــرجــــل : بـــلى .

الـشـــــاب : ألم تقم بزيارة قصيرة لدار الآثار؟

الـــرجــــل : بـــلى .

الـشـــــاب : ألم تشهد مزادا بصالة المعروضات بالدقى؟

الـــرجــــل : بـــلى .

الـشـــــاب : ألم تذهب بعد ذلك إلى عيادة الدكتور عرنوسى طبيب الأسنان؟

الـــرجــــل : بـــلى .

الـشـــــاب : ألـــم . . .

الـــرجــــل : (مقاطعا) أكنت تتبعنى يا سيدى؟

الـشـــــاب : (ضاحكا ضحكة جافة) أنا؟!

الـــرجــــل : أليس من الغـريب أن تعـرف تحـركاتى طيـلة اليوم بهذه الدقة؟!

الـشـــــاب : ولكنك كنت، لا مؤاخذة، كأنك كنت تتبعنى!

الــــرجـــــل : لقد شغلت نفسك بى أكثر مما يتصور .

الـشــــــاب : فى كل مكان رأيتك قــادمــا فى أثرى، حــتى فى هذه المنطقة النائية الخالية!

الــــرجـــــل : عجيب أننى لم أرك ولا مرة واحدة .

الـشــــــاب : الحق أن عينينا التقتا أكثر من مرة .

الــــرجـــــل : لا يرى الإنسان جميع ما تقع عليه عيناه من أشياء .

الـشــــــاب : إذن فأنت لا تتبعنى؟

الــــرجـــــل : ولم أتبعك؟

الـشــــــاب : لعلك تعذرنى .

الــــرجـــــل : لـك العــذر .

الـشــــــاب : مصادفة عجيبة .

الــــرجـــــل : هى بالقياس إلى لا شىء .

(الشاب يضحك ضـحكة عصبية ثم يسـود الصمت. وعندما يهم الشاب بالابتعاد يتكلم الرجل)

: آسف جدا لأنى أزعجتك بغير قصد .

الـشــــــاب : أن تصدق أن شخصا ما يتبعك أمر مزعج حقا .

الــــرجـــــل : ليس فى جميع الأحوال .

الـشــــــاب : أعنى إذا كنت تجهله وتجهل مقصده بالتالى .

الــــرجـــــل : ولكنك شاب مهذب برىء الساحة .

الـشــــــاب : لا يكفى هــذا لإســكات وســاوسك مــا دمت تجــهله وتجهل مقصده .

الــــرجـــــل : (باسـمـا) أيهــمـا أبعث على الخـوف . . المجـهـول أم المعروف؟

الـشــــــاب : الأمر يتوقف على السبب وعلاقته بنا .

الــــرجــــل : الحق أننا نخاف أكثر مما ينبغى .

(الشاب يصمت متجهما)

: أكـرر الأسـف .

الـشــــاب : (بعصبية) الحق أنك أفسدت علىَّ يومى كله .

الــــرجــــل : عجيب أن نرتكب جريمة ونحن لا ندرى .

الـشــــاب : وجـئت إلى هذه البـقـعـة الخـاليـة النائيـة لأكـتـشـفك وأحرجك!

الــــرجــــل : لعل مجيئى يقطع ببراءتى .

الـشــــاب : ترى ما الذى دعاك إلى المجىء إلى هنا؟

الــــرجــــل : إنها أحد الأماكن المختارة التى أشهد فيها الغروب .

الـشــــاب : أتحب الغروب؟

الــــرجــــل : إنه أحب ساعات اليوم إلى نفسى .

الـشــــاب : ألم يزعجك أن تجدنى هنا؟

الــــرجــــل : أنا أحب الناس .

الـشــــاب : (بعد تردد واضح) هلا أخبرتنى عن خطواتك التالية؟

الــــرجــــل : أما زلت على ريب منى؟

الـشــــاب : كلا، ولكنى أود أن أمتحن دهاء المصادفة .

الــــرجــــل : الواقع أنى سـرت طيلة اليوم على غـير هـدى وبلا خطة موضوعة، إنه يوم عطلتى .

الـشــــاب : لابد من فكرة تقودك فى يوم عطلتك .

الــــرجــــل : من طول خضـوعى للتخطيط على مدى الأسبوع فإنى أتحرر يوم العطلة من أى قيد .

الـشــــاب : أمـا أنا فـسـأبقى هنا بعض الوقت ثم أذهب إلى حـانة «الأحمر والأبيض» .

الـــــرجـــــل : (بحـمـاس مـفـاجئ) حـانة النـبـيـذ الفـاخـر والسلطة الخضراء! . . ما أجملها!

الـشـــــاب : هل تقرر الذهاب إليها؟

الـــــرجـــــل : أعترف بأنك ذكرتنى بمكان أحب الجلوس فيه!

الـشـــــاب : وبعد ذلك سأمضى إلى بيتى!

الـــــرجـــــل : من يدرى، ربما توثقت العـلاقـة بيننا فى «الأحـمـر والأبيض» فنمضى إلى البيت معا.

(يضحكان معا، ثم يسود الصـمت. يلتفت الشاب إلى الناحية الأخـرى فـيـعود الـرجل إلى التطلع صـوب الأفق. الشـاب يتـمـشى غـيـر خـال من القلق. يختـلس إلـى ظهـر الرجل النظرات، ينظر فى ساعته، يتضـاعف قلقه. تدخل فتاة جميلة متأنقة. ما إن ترى الشاب حتى تهرع نحوه متهللة ولكنها تنتبه إلى وجود رجل غريب فتتمالك مـشاعرها وتلوح فى وجهها خيبة. الشاب يمضى بها إلى يمين الهضبة. يتبادلان قبلة)

الـشـــــاب : لسـنا وحـدنا.

الفـــتـــاة : مـاذا يفعـل؟

الـشـــــاب : ينتظر الغروب!

الفـــتـــاة : الغــروب؟!

الـشـــــاب : (متهكما) أحب ساعات اليوم إليه.

الفـــتـــاة : هل تعرفه؟

الـشـــــاب : كــلا.

الفـــتـــاة : هل حادثته؟

الـشـــــاب : نعـــم.

الفـــتـــاة : لِـمَ؟

الشـــــاب : الواقع أنه لم يفارقنى منذ الصباح الباكر .
الفـــتـــاة : (بدهشة) كيف؟
الشـــــاب : ظننته يتبعنى .
الفـــتـــاة : ما دام لم يفارقك طوال اليوم .
الشـــــاب : ولكنه أكد لى أنه لم يرنى .
الفـــتـــاة : وهل صدقته؟
الشـــــاب : لـــم أكـــذبه .
الفـــتـــاة : ألا ترى أنه يحسن بنا أن نذهب؟
الشـــــاب : إنى ضنين باللقاء .
الفـــتـــاة : ولكن قلبى غير مطمئن .
الشـــــاب : لعله ينتظر صديقة .
الفـــتـــاة : ليتها تجىء لتحل المشكلة من أساسها .

(يتبادلان قبلة طويلة)

: (مشيرة إلى الناحيـة الأخرى من الهضبة) لم يفارقك طوال اليوم؟

الشـــــاب : بـــلى .
الفـــتـــاة : لنـذهب .
الشـــــاب : لماذا يتبعنى؟
الفـــتـــاة : (بقلق واضح) ترى هل يتعلق الأمر بى؟
الشـــــاب : هل سبق لك أن رأيته .
الفـــتـــاة : لا لم ألمح إلا ظهـره، وبسرعة عابرة، لم يذكرنى بأحد أعرفه .
الشـــــاب : لا داعى لكثرة الظنون .
الفـــتـــاة : أرى أنه يحسن بنا أن نذهب .

الشـــــاب : لننتظر فإنى ضنين باللقاء.
الفـــتــــاة : أعترف بأننى بت أكرهه بقدر ما أخافه.
الشـــــاب : كيف تخافينه وأنت لم ترى إلا ظهره!
الفـــتــــاة : إنه ذو قصة مريبة تدعو للانزعاج.
الشـــــاب : بوسعنا أن ننساه تماما ونعبث بنواياه.
الفـــتــــاة : نوايـــاه؟!
الشـــــاب : أعنى إن كان ثمة نوايا يضمرها حقا.
الفـــتــــاة : ولكن كيف؟
الشـــــاب : (وهو يجذبها نحو صدره) هكذا.

(يتعـانقان وهمـا يتبادلان قـبلة طويلة. يواصلان العـناق والقبل كـأنما قد نسـيـا الآخر تمامـا. فى أثناء ذلك يجلس الآخـر على الأرض كأنما أتعبته الوقـفة، يمد ساقـيه ويسند رأسه إلى حـافة الهضـبة. صوت غراب ينعق. الشـاب والفتاة يفيـقان من سكرة الحب. يتبادلان النظر فى دهشة)

الفـــتــــاة : كم مضى من الوقت؟
الشـــــاب : لا أدرى، ولن أنظر فى الساعة فما أحب أن أكدر صفونا بالزمن.
الفـــتــــاة : (مشيرة إلى الناحية الأخرى) ترى هل ذهب؟
الشـــــاب : سيان عندى أن يذهب أو أن يبقى.
: لا يند عنه صوت.
: لعله مات.

(صمت يتخلله تبادل قبل)

: من الحماقة أن أخافه.
الفـــتــــاة : ولكنك تجهله.

الشـــــاب : هـو عـلى أى حـال كهـل وبوسـعى أن أصـرعه بلكمة واحدة .

الفـــتـــاة : ولكنى وجدتك قلقا لدى حضورى .

الشـــــاب : لم أكن أفقت من فكرة مطاردته لى .

الفـــتـــاة : لعـــله . .

(وقبل أن تتم كـلامها يتـرامى إليهما شـخير منتظم من ناحـية الرجل. يتبادلان نظرة ذاهلة)

: نـــام؟

الشـــــاب : لعله شخير رجل آخر .

(الشـاب يمضى فى حذر شـديد نحـو الرجل. تتـبعـه الفتـاة. يلقيان عليه نظرة داهشة. الرجل يسـتيقظ لدى وقوع نظرتهما عليه كأنما رمى بطوبة. ينـهض بسرعة ويحدق فيهـما بانزعاج وتحد معا)

الـــرجــــل : (متجهما) من أنتما؟ . . ماذا تبغيان؟

الشـــــاب : لا مؤاخذة لم نقصد إزعاجك .

الـــرجــــل : (مستعيدا تذكره وهدوءه) آه . . أنت . .

(صمت وارتباك والرجل يردد بصره بينهما)

: (باسما) وقعت أحداث جديدة فى أثناء غفوتى !

الشـــــاب : أى أحـــداث؟

الـــرجــــل : (ناظرا إلى الفتاة) كنت وحدك فيما أذكر !

الشـــــاب : ثم لحقت بى خطيبتى !

الـــرجــــل : (مبديا دهشة سمجة) خطيبتك !

الشـــــاب : (بحدة) نعم خطيبتى !

الـــرجــــل : (بقـحة) وكيف تجىء بخطيبتك إلى هذه البقـعة النائية المهجورة؟

الشـــاب : (غاضبا) بأى حق تحاسبنى على ما أفعل؟

الـرجـل : (متراجعا) معذرة. لم أسترد تفكيرى السليم بعد. . (يهمّ الفتى والفتاة بالذهاب ولكن الرجل يسارع باعتراض سبيلهما)

الـرجـل : متى نذهب إلى حانة «الأحمر والأبيض»؟

الشـــاب : نذهب؟

الـرجـل : ألم نتفق على ذلك؟

الشـــاب : كلا. . قلت لك إنى ذاهب لا إننا ذاهبان، وقد عدلت عن قرارى.

الـرجـل : يا للخسارة!

الشـــاب : اذهب أنت إذا شئت. . .

الـرجـل : لعلك ضحكت علىّ حين كنت تنتظر خطيبتك؟

الشـــاب : لا داعى للأخذ والرد.

الـرجـل : إذن فلم تقصد هذا المكان لتحرجنى كما قلت؟

الشـــاب : لننه حديثا لا جدوى منه.

الـرجـل : ولكننا وصلنا فى الحديث إلى حافة الصداقة.

الشـــاب : لندع ذلك إلى فرصة أخرى.

الـرجـل : (راجعا إلى مكانه الأول) أتمنى لكما وقتا طيبا.

(الرجل يعود إلى موقفه الأول ليرنو من جديد إلى الأفق. يعود الشاب بالفتاة إلى موقفهما إلى يمين الهضبة).

الشـــاب : ها قد عدنا إلى الجنة.

الفـتـاة : ليتنا لم نغادرها.

الشـــاب : لعنة الله على الفضول.

الفـتـاة : دعنى أذهب. .

(يضمها إلى صدره ويقبلها فتستسلم دون استجابة)

الشـــــاب : ابتسمي .

الفـــتـــاة : يا له من رجل كريه!

الشـــــاب : لنلق به في النسيان .

(يتعانقان حتى يغيبا عن الوجود. في أثناء ذلك يتسلل الرجل من موقفه حتى يقف قبالتهما ويبدو سعيدا بمشاهدتهما. ينتبهان إليه. ينفصلان في ارتباك وانزعاج. الشاب يرميه بنظرة غاضبة)

الـــرجـــل : ما أجمل هذا!

الشـــــاب : وقاحة .

الـــرجـــل : استمرا في لعبكما الظريف .

الشـــــاب : **(محتدا)** ماذا جاء بك؟

الـــرجـــل : بالله لا تغضب .

الشـــــاب : وقح .

الـــرجـــل : إنك لا تقدر وقع كلمة قاسية على رجل يحب الناس .

الشـــــاب : ماذا جاء بك؟

الـــرجـــل : أحب أن أرى الأشياء الظريفة .

الشـــــاب : احذر أن تدفع ثمن قحتك .

الـــرجـــل : لقد تسللتما لتلقيا عليّ نظرة وأنا نائم وها أنا أرد التحية .

الفـــتـــاة : **(وهي تهم بالذهاب فيمسك الشاب بها)** إني ذاهبة .

الـــرجـــل : **(للفتاة)** لا تذهبي ، لم أقصد إزعاجك .

الشـــــاب : هذا سلوك غير لائق .

الـــرجـــل : بل هو طبيعي وجميل .

الشـــاب : اذهـب .
الـرجـل : ألا ترى أني أعرض مودتي بغير حساب؟
الشـــاب : اذهب وإلا . .
الـرجـل : يجدر بك ألا تهددني .
الشـــاب : سأفعل أكثر من التهديد .
الـرجـل : كلا ، لا تدفعنا إلى عواقب غير محمودة .
الشـــاب : لـك .
الـرجـل : ولك أيضـا .
الشـــاب : لا تحملني على تأديبك وأنت في سن أب .
الـرجـل : لا تغتر بفوارق السن .
الفـتـاة : دعني أذهـب .
الـرجـل : (للفتاة) محال أن تكدري صفوك بسببي .
الفـتـاة : إذن فابتعد عنا .
الـرجـل : إنها فرصة نادرة لمشاهدة الحب .
الشـــاب : أأنت مجنون؟
الـرجـل : أنا رجل يحب مشاهدة الطرائف ، جرب ذلك بنفسك إذا شئت .
الشـــاب : ماذا تعني؟
الـرجـل : (حانيا رأسه بأدب) دعني أحل محلك وتفضل بمشاهدتنا أنت لتحكم بنفسك .

(الفتاة تلطمه. الرجل يتلقى اللطمة باسما)

(صمت)

الفـتـاة : (هامسة للشاب) دعني أذهب .
الشـــاب : (بعناد وكبرياء) كلا .

الفتاة : بل يجب أن أذهب فى الحال .

الشاب : (بإصرار) لن تذهبى .

(الرجل يبتعد خطوات، يتحسس خده مكان اللطمة وهو ما يزال يبتسم)

الرجل : (مخاطبا الخلاء) بنوايا طيبة أسير، ولكنى أتلقى اللطمات، وكلمات أقسى من اللطمات، لماذا؟ لماذا يصر الناس على الوهم والحماقة؟ لم لا يقفون على أرض الواقع؟ كيف لا يفرقون بين العدو والصديق؟

الفتاة : (للشاب) لا تكن عنيدا .

الشاب : لن تذهبى .

الفتاة : لا فائدة .

الشاب : ولكنك لن تذهبى .

الرجل : (مستمرا فى مخاطبة الخلاء) المتعلم والأمى فى الجهالة سواء، لمَ يسيئون الظن بى؟ ماذا عليهم لو استمروا فى لهوهم أمام وجودى البرىء؟ أحب مشاهدة الأفراح، ولا عدو لى إلا الحماقة والأنانية .

الفتاة : (للشاب) إنه مجنون .

الشاب : ليكن .

الفتاة : إنى خائفة .

الشاب : لست عاجزا عن حمايتك .

الرجل : (مخاطبا الخلاء أيضا) يخلقون المتاعب من لا شىء ثم يلقون بها فى وجهى، أهيم على وجهى باحثا عن أشياء ثمينة فلا ألقى إلا الصد، الخلاء يشهد بأننى ذو شأن ولكن اللعنة على الحماقة .

الفــــتـــــاة : إنه مجنون ، لن أبقى دقيقة أخرى .

(الفتاة تمضى نحو الخارج. الشاب يلحق بها فيمسك بيدها)

: لابـد من ذهـابى .

الـشــــاب : ولكـــن . . .

الفــــتـــــاة : لا تُكرهنى على البقاء .

الـشــــاب : إذن فلأوصلك .

الفــــتـــــاة : (مانعة إياه بيدها) ابق هنا حتى لا يتبعنا .

(يتصافحان. تغادر المكان. الشاب يتبعها بعينيه. الرجل يقترب منه ولكنه يتجاهله)

الــــرجــــل : أقدم لك اعتذارى بقلب ملؤه الأسف .

(الشاب يصر على تجاهله)

: أى نحس يفسد علىّ مطالبى البريئة؟!

(الشاب يتمشى والرجل يتبعه كظله)

: أكرر الأسف من كل قلبى .

الـشــــاب : (متوقفا عن المشى فى مواجهته) ألا تخجل من نفسك؟

الــــرجــــل : انظر إلى جزاء من يسعى إلى حب الناس!

الـشــــاب : أتسـخر منى؟

الــــرجــــل : صدقنى فيما أقول ، بيد أنى رجل سيئ الحظ .

الـشــــاب : لقد ضيعت علىّ ثمرة يومى المرهق الطويل بلا حياء .

الــــرجــــل : أنـــا؟

الـشــــاب : دون غيرك .

الــــرجــــل : كلما سعيت إلى إنسان بقلب مفتوح رُميت بهذه التهمـة .

الـشــــاب : يخيل إلىّ أنك ذو تاريخ قديم فى النحس .

الـــــرجـــــل : لا ذنب لى على الإطلاق .
(الشاب يغادره إلى يسار الهضبة فيتبعه على الأثر)
: أود أن تؤمن ببراءتى .
الــشــــــاب : أمن الضرورى أن تلاحقنى لتحدثنى عن نحسك؟
الـــــرجـــــل : فرصة طيبة للحديث والتعارف .
(الشاب يقطب ثم يسود صمت)
: افتح لى صدرك .
الــشــــــاب : أكنت تتبعنى منذ الصباح كما ظننت؟
الـــــرجـــــل : (باسما) بصراحة نعم .
الــشــــــاب : إذن كذبت علىّ؟
الـــــرجـــــل : بسبب نحسى المزمن أصبح الكذب وسيلتى المفضلة للدفاع عن النفس .
الــشــــــاب : أكنت تعرفنى؟
الـــــرجـــــل : كـــــلا .
الــشــــــاب : لم تبعتنى؟
الـــــرجـــــل : إنى أهيم على وجهى من مطلع الصبح فأتبع أول من يصادفنى .
الــشــــــاب : أيـا كـان؟
الـــــرجـــــل : أيـا كـان .
الــشــــــاب : كـل يـوم؟
الـــــرجـــــل : كـل يـوم .
الــشــــــاب : أليس لك عمل فى الحياة؟
الـــــرجـــــل : ليس لى عمل .
الــشــــــاب : ثــرىّ؟

الــــرجـــــل : موفور الإيراد .
الـشـــــاب : ما قصدك من مطاردتى؟
الــــرجـــــل : أتصيد لحظة للتعارف .
الـشـــــاب : أليس لك أصدقاء؟
(صمت)
الــــرجـــــل : وآمل من وراء التعارف أن أحطم أسطورة النحس!
الـشـــــاب : (ضاحكا ضحكة مكفهرة) الآن وقفت على سر الحظ العاثر الذى لازمنى طيلة يومى .
الــــرجـــــل : لا تكن كالآخرين .
الـشـــــاب : فى ميدان القلعة زلّت قدمى فوقعت على ركبتى .
الــــرجـــــل : (باسما) كنت تنظر إلى امرأة فى نافذة!
الـشـــــاب : وفى المطعم شرقت حتى قذفت بما فى معدتى .
الــــرجـــــل : كنت تأكل بسرعة كأنك فى سباق!
الـشـــــاب : وفى مقهى الشمس خسرت نقودى .
الــــرجـــــل : كنت تبلف باستمرار حتى كشف ورقك .
الـشـــــاب : وفى دار الآثار وقعت على ركبتى المصابة للمرة الثانية .
الــــرجـــــل : كنت شارد اللب وتحادث نفسك .
الـشـــــاب : وأخيرا أفسدت علىّ أجمل ثمرة فى يومى .
الــــرجـــــل : ألم توقظنى من النوم بنفسك؟
(الشاب يعاود ضحكته المكفهرة ثم يسود الصمت)
الـشـــــاب : أليس لك أصدقاء؟
الــــرجـــــل : (متنهدا) كـــلا .
الـشـــــاب : ألست رب أسرة؟
الــــرجـــــل : جربت حظى مرات ولكنى لم أوفق!

الشـــــاب : (يضحك رغما عنه) لا مؤاخذة.
الـــرجـــل : العفـــو.
الشـــــاب : أظن آن لى أن أذهب
الـــرجـــل : (يتوسل) كـــلا.
الشـــــاب : ليس ثمة ما يدعونى إلى البقاء.
الـــرجـــل : فلنشهد الغروب معا.
الشـــــاب : لا أحب الغروب.
الـــرجـــل : ثم نذهب إلى حانة «الأحمر والأبيض».
الشـــــاب : لن أذهـــب.
الـــرجـــل : إذا كنت مفلسا فلا يهمك.
الشـــــاب : لن أذهـــب.
الـــرجـــل : تكره مرافقتى؟
الشـــــاب : نعـــم.
الـــرجـــل : لا تجعل للخرافة سيطرة عليك.
الشـــــاب : (محتدا) إنك وراء ما فقدت من صحة ومال وحب!
الـــرجـــل : أقلع عن الخرافات.
الشـــــاب : أقلع أنت عن نحسك.
الـــرجـــل : أتوسل إليك أن تبقى ولو حتى ساعة الغروب فحسب.
الشـــــاب : وداعـــا.

(الشاب يمضى صوب الخارج بعزم وصـرامة. الآخر ينظر إليه بأسف. عند منتصف المسافة يتوقف الشاب فجأة ويعلو صوته بالتـأوه ثم ينحنى قـابضا بيـديه على ركـبتـه. الرجل يلحق به متسائلا)

الـــرجـــل : مـــالك؟

الشـــــاب : ركــبتى!
الـــرجـــل : مد ساقك، دلكها.
الشـــــاب : نار. . نار موقدة. .
(يثب راجعا على قدمه الأخرى حتى يجلس فى أسفل الهضبة. يمد ساقه السليمة ويثنى الأخرى ثم يتأوه من الأعماق)
الـــرجـــل : ماذا حدث؟ . . كنت فى غاية الصحة.
الشـــــاب : الحق أنها لم تعد إلى حالتها الطبيعية أبدا. . .
الـــرجـــل : لكنك لم تشكُ طيلة الوقت.
الشـــــاب : كان يعاودنى ألم خفيف فظننته عابراً.
الـــرجـــل : حالة طارئة لا تلبث أن تزول.
الشـــــاب : لعـل وعسى.
الـــرجـــل : من المفيد أن تدلكها.
الشـــــاب : لا أستطيع لمسها.
الـــرجـــل : حال بسيطة فيما أعتقد.
الشـــــاب : **(متأوها)** قلبى يحدثنى بأن الأمر أخطر مما تتصور.
الـــرجـــل : لا تعتمد كثيرا على حديث قلبك.
الشـــــاب : صدقنى فإن الحال خطيرة حقا.
الـــرجـــل : أرجو أن تكون واهما. . .
الشـــــاب : أريد إسعافا عاجلا. . .
الـــرجـــل : سأذهب لاستدعاء الإسعاف.
الشـــــاب : وتعود بسرعة من فضلك!
الـــرجـــل : لا أظن فإن أقرب تليفون يقع على مسيرة غير قصيرة.
الشـــــاب : **(بقلق)** لا تتركنى وحدى طويلا.

الـــرجـــل : مـاذا تخـاف؟
الـشـــــاب : المساء قريب، وهذه بقعة غير مأمونة لإنسان عاجز.
الـــرجـــل : ومـا الحـل؟
الـشـــــاب : هل يمكن أن أسير معتمدا عليك؟
الـــرجـــل : سأضطر إلى حملك وهو ما أعجز عنه، جرب أن تسير على مهل.
الـشـــــاب : الحال أخطر مما تتصور.
الـــرجـــل : لابد من حل وبخاصة أننى لن أبقى بعد الغروب!
الـشـــــاب : ولكنك لن تتركنى وحدى!
الـــرجـــل : أخشى أن أضطر إلى ذلك إذا لم تسعفنى بحل.

(صمت وتأوه)

الـشـــــاب : ولكنك لن تفعل ذلك.
الـــرجـــل : لا يمكن أن أبقى هنا إلى مـا شـاء الله ولكنى سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة.

(الشاب يرمقه بنظرة صامتة متألمة)

: سأفعل من أجلك ما لا تنتظره من رجل لا تعرفه ولا يعرفك.
الـشـــــاب : (بحياء) حدثتنى عن رغبتك فى الصداقة وأمامك فرصة لربطنا برباط المودة إلى الأبد.
الـــرجـــل : (بشىء من الجفاء) ولكنك رفضت يدى!
الـشـــــاب : اغفر لى غضبى الأحمق!
الـــرجـــل : الحق أنك كرهتنى طوال الوقت.
الـشـــــاب : الإنسان عـدو مـا يجهله ولكنى سأعـرفك من خـلال سلوكك النبيل.

الـــرجـــل : (بنبرة لم يعد بها أثر من الرقة القديمة) لا أقبل اصطياد صداقة تحت وطأة ظروف قاهرة.

الشـــاب : (بضراعة) ولكنك إنسان كبير القلب.

الـــرجـــل : أول كلمة طيبة أسمعها منك.

(صمت)

الشـــاب : ماذا تنوى أن تفعل؟

الـــرجـــل : سأشاهد المغيب ثم أذهب.

الشـــاب : وتتركنى عاجزا للخلاء والليل؟

الـــرجـــل : لا حيلة لى فى ذلك.

الشـــاب : سيكون سلوكك غير إنسانى.

الـــرجـــل : لم ألق من السير وراء الناس إلا الصد والاتهام واللعنة!

(الشاب يتأوه)

: أأنا الذى خلقت النحس حقا؟

(الشاب يتأوه)

: كيف تعاملون التربى؟ . . . إنه يوارى جثثكم فى التراب، يصون كرامتكم، يعرض نفسه لألوان شتى من المخاطر، ويستحق فى أحاديثكم التقليدية الجنة بغير حساب، ولكنه لا يسعد فى حياته بصديق واحد، ويمضى وحيدا كالوباء . . .

الشـــاب : الوقت يمر والحال تزداد سوءا.

الـــرجـــل : كم صددتنى، كم أهنتنى، ولم تصدق أننى إنسان إلا بعد إصابتك وقبيل الغروب.

الشـــاب : يا لسوء حظى!

الـــرجـــل : ها أنت تعود إلى اتهامى.

الشـــــاب : لم أقصد هذا ألبتة .

الـــرجـــل : ألست النحس الذى سلبك المال والحب والصحة؟

الشـــــاب : ســـيدى!

الـــرجـــل : أين فتـــاتك؟

الشـــــاب : لا سبيل إليها الآن .

الـــرجـــل : أليست هى أولى بتمريضك منى؟

الشـــــاب : إنها لا تعلم بما حل بى .

الـــرجـــل : زهدت لوجودى فى وصالك نفسه .

الشـــــاب : (متأوها) أريد إسعافا .

الـــرجـــل : سأتلفن للإسعاف فى طريق العودة .

الشـــــاب : لا تتـــركنى .

الـــرجـــل : (متأففا) إنك مزعج فى مرضك كما كنت مزعجا فى صحتك .

الشـــــاب : ألا ترى كم أنهكنى المرض؟

الـــرجـــل : ألا ترى كم أنهكنى السير؟

(صمت)

الشـــــاب : أليس لك خبرة بالإسعافات الأولية؟

الـــرجـــل : لا خبرة لى بشىء .

الشـــــاب : ولكنك فى سن الحكمة والخبرة .

الـــرجـــل : أعرف كيف أسير على غير هدى، وأعرف كيف أسير فى أعقاب إنسان أحمق، وأعرف كيف آمل دواما فى علاقة لا تتحقق أبدا .

الشـــــاب : (بضراعة متأوهة) لا تذهب .

الـــرجـــل : سأذهب عندما يجب الذهاب .

الشـــــاب : لا تذهـــب .

الـــرجـــل : اعتـدت أن يقال لى اذهب عندما أرغب فى البقاء وأن يقال لى لا تذهب عندما يجب الذهاب .

(الشاب بتأوه. جو المغيب يهبط فيغطى الخلاء. الرجل يمضى إلى يسار الهضبة ليتطلع إلى الشمس الغاربة)

الشـــــاب : لا تبتعد عن إنسان يتألم لتشاهد شمسا تغرب .

الـــرجـــل : صه، لا تكدر صفو الساعة، الساعة الفريدة، الوحيدة التى تلمس فيها حركة الشمس، الوحيدة التى تنظر فيها إلى الشمس دون أن تُصاب بالعمى، الوحيدة التى يُرى فيها الظلام وهو يزحف، الوحيدة التى أسمع فيها التوسلات بدلا من اللعنات، ها هى الشمس تختفى تماما . . .

(الرجل يتحول عن موقفه متجها نحو الشاب ويرنو إليه دقيقة).

الـــرجـــل : الـــوداع .

(ثم يسير على مهل نحو الخارج)

الشـــــاب : لا تذهـــب .

(يواصل السير غير ملتفت إليه)

: أستحلفك بالله .

(يواصل سيره)

: انتظر . . انتظر . . .

(الرجل يختفى)

: عليك اللعنة .·

(الشاب ينظر فيما حوله بخوف. الظلام يهبط رويدا رويدا

حتى يختفى كل شيء... تمر فترة قصيرة على تلك الحال، ثم تترامى أضواء من وراء الهضبة. ويسمع وقع أقدام قادمة. من يمين الهضبة ومن يسارها يجيء رجلان حاملين مشعلين، يرتدى كل منهما سروالا وصدارا أحمرين. يقفان على مبعدة من الشاب إلى اليمين وإلى اليسار ويلازمان الصمت طوال الوقت. يبدو الشاب على ضوء المشعلين مستغرقا فى النوم. ثم يتبعهما رجلان فى أردية سوداء يحمل كل منهما سوطا وحبلا معقودا. يقفان عن يمين الشاب ويساره وهما يحملقان فى وجهه. يوثقان يديه وقدميه بإحكام ثم يعودان إلى وقفتهما ممعنين فيه النظر. الشاب يفتح عينيه. ينظر إلى الأمام فى ذهول. يهم بالحركة فيدرك أنه مكبل بالحبال. ثم ينتبه إلى وجود الرجال الأربعة. يردد عينيه بينهم فى دهشة ووجل)

الشاب : من أنتم؟ . . وماذا تريدون؟

الرجل ١ : **(للرجل رقم ٢ فى تهكم)** إنه لا يعرفنا!

الرجل ٢ : **(فى تهكم أيضا)** طبعا . . إنه يرانا لأول مرة .

الرجل ١ : **(للشاب)** أليس كذلك أيها المخادع المارق!

الرجل ٢ : أنت لا تعرفنا، هه؟

الشاب : آسف، لم أكن أفقت من النوم بعد .

(يركلانه بقدميهما فيصرخ)

: الرحمة . . .

الرجل ١ : **(ضاحكا)** ابن الأبالسة يطلب الرحمة!

الشاب : لا تحكموا علىّ بالظواهر، أنا برىء . . .

الرجل ٢ : نفس الكلمات، لا جديد، نفس الأكاذيب العفنة!

الشاب : كنت دائما حسن النية ولكن الزمن عنيد .

الـرجـل ١ : الزمن، الزمن، ذلك المتهم الوهمى .
الـشـاب : الرحمـة .
الـرجـل ٢ : الرحمـة؟!
الـشـاب : العـدل .
الـرجـل ١ : لا يدرى ماذا يطلب .
الـشـاب : الرحمة والعدل .
الـرجـل ٢ : قلت الرحمة ثم العدل فماذا تطلب الرحمة أم العدل؟
الـشـاب : الرحمة والعدل .
الـرجـل ١ : لا تكن طماعا .
الـرجـل ٢ : نحن لا نعطى عادة إلا الموت .
الـرجـل ١ : والرحمة والعدل لا يجتمعان .
الـشـاب : ولمَ لا يجتمعان؟
(يركَلانه مرة ثانية فيصرخ)
الـرجـل ١ : هذا التأديب عدل لأنك تستحقه فكيف يمكن أن تعامل بالرحمة فى الوقت نفسه؟!
الـرجـل ٢ : حدد أفكارك عما تريد، العدل أم الرحمة؟
الـرجـل ١ : (بحدة) العدل أم الرحمة؟
الـشـاب : الرحمة، لعلّ الرحمة هى ما أريد . . .
الـرجـل ١ : ألست على يقين مما تريد؟
الـشـاب : لست على يقين من شيء، لقد أنهكنى التعب .
الـرجـل ٢ : ألم تبدد الوقت بغير حساب؟
الـشـاب : يلزمنى شيء من الراحة لأحسن الإجابة، فكوا قيودى لأحظى ببعض الحرية .
الـرجـل ١ : (ضاحكا) ها هو ينادى بالحرية كمطلب جديد!

الـرجـــل ٢ : الحرية بعد العدل والرحمة!

الـشـــــاب : أليست جميعها أخوات لا يفترقن؟

الـرجـــل ١ : ابن الأبالسة عقد بينها أواصر القربى ليطالب بالدنيا والآخرة!

الـرجـــل ٢ : استمر فى الطلب إلى غير نهاية، وبلا حياء، ماذا تريد أيضاً؟.. ثروة؟.. صحة؟.. جاه؟.. ما رأيك فى الحب؟.. الذرية؟.. طاقية الاختفاء؟ جناحين للطيران؟ هرمونات لتجديد الشباب؟ مهضمات وملينات ومسهلات؟ فاتحات شهية؟ جواز سفر إلى جميع البلدان؟ ماذا تريد أيضا؟

الـشـــــاب : بعض الرفق، نحن إخوة!

الـرجـــل ١ : إخوة!، من ناحية الأب أم من ناحية الأم؟

الـشـــــاب : أعنى أننا جميعا بشر.

الـرجـــل ١ : تريد أن تستغلنا باسم البشرية، هه؟ ولأنك تتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الكون فسوف تحاول استغفال الكون كله، ماذا تريد أيضا؟

الـشـــــاب : إنى متألم فكوا قيودى.

الـرجـــل ٢ : تريد الحرية؟

الـرجـــل ١ : إن كنت تريد الحرية فاختر بنفسك الوسيلة التى نقتلك بها.

الـشـــــاب : لا تسخروا منى، لا تعارض يا سادة بين الحرية والعدل والرحمة!

الـرجـــل ١ : كذبت، كل واحدة منها تُستورد من بلد غير البلد التى تُستورد منه الأخرى.

الـرجـــل ٢ : ويؤدى ثمنها الباهظ بالعملة الصعبة .

الـشـــــاب : إنى متألم لحد العجز .

الـرجـــل ١ : الحرية أم العدل أم الرحمة؟

الـرجـــل ٢ : نريد جوابا صريحا غير متردد .

الـرجـــل ١ : جواب صريح لا رجعة فيه .

الـرجـــل ٢ : إن أردت الرحمة قتلناك بلا تحقيق، وإن أردت العدل قتلناك بعد تحقيق، وإن أردت الحرية فاقتل نفسك بالوسيلة التى تفضلها!

الـرجـــل ١ : ماذا تريد؟ . . تكلم بوضوح وصراحة، العدل أم هرمونات تجديد الشباب؟ الرحمة أم جواز سفر إلى جميع البلدان؟ الحرية أم أملاح الفواكه الفوارة؟ ما طريقة القتل المفضلة لديك؟ ألك وصية بما يتعلق بجثتك؟ . . أترغب فى دفنها؟ . . فى حرقها؟ . . فى تركها فى الخلاء؟ . . فى شحنها إلى بلد معين؟

الـرجـــل ٢ : ماذا تريدنا على أن نفعل بالذرات التى يتكون منها جسدك؟ . . أن نتركها للديدان؟ . . أن نهبها للجمعية الطبية؟ . . أن نصنع منها قنابل مدمرة؟

الـشـــــاب : لا سبيل إلى التفاهم فيما بيننا .

(يركلانه فيصرخ)

الـرجـــل ١ : لقد بددت وقتنا سدى، ألهذا أرسلناك؟

الـشـــــاب : أرسلتمونى؟! . . متى كان ذلك؟ . . لم يرسلنى أحد!

الـرجـــل ٢ : يا لك من كذاب مخادع!

(يركلانه فيصرخ)

الـرجـــل ١ : أحقا لم يرسلك أحد؟

الشـــــاب : معذرة، ضعفت ذاكرتى من المرض والإنهاك، معذرة.
الـرجـــل ٢ : أم تريد أن تتنصل من المهمة التى كُلّفت بها؟
الشـــــاب : المهمـــة؟!
الـرجـــل ٢ : المهمة التى كُلّفت بها!
الشـــــاب : أى مهمـــة؟
الـرجـــل ٢ : يا لك من كذاب مخادع!
(يضربه بالسوط.. الشاب يصرخ)
الـرجـــل ١ : وإلا فلماذا أرسلناك؟
الشـــــاب : أنتم صـادقـون وأنا مـعـذور، الزحـام هناك شـديد، والأصـوات مزعجـة، وعمـلى اليـومى اسـتغرق جـلّ وقتى.
الـرجـــل ١ : وما عملك اليومى؟
الشـــــاب : مـدرس تـاريخ.
الـرجـــل ٢ : حدثنا عن دروسك، ماذا فعل الإنسان القديم؟
الشـــــاب : اكتشـف الزراعـة، صنـع التقـويم، بنى الأهـرام، هزم وانهزم...
الـرجـــل ١ : ألم يذكرك شىء من ذلك بمهمتك؟
الشـــــاب : كنت مستغرقا طوال الوقت.
الـرجـــل ١ : ألم تخطر بذاكرتك ولو كالهمس؟
(الشاب يصمت. الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ متوجعا)
الـرجـــل ٢ : اعتـــرفْ..
الشـــــاب : اللعنة على ذاكـرة لا تـسـعف صـاحـبـهـا بما يجب أن تتذكـره.
الـرجـــل ١ : كـــذاب.

الـرجـــل ٢ : اعترف بأنك تجنبت ذكر ما يجر عليك المتاعب .

الـرجـــل ١ : مخــادع جبــان .

الـشـــــاب : جربونى مرة أخرى !

الـرجـــل ١ : لتعبث بنا مرة أخرى .

الـشـــــاب : أعطونى رسالة مكتوبة كيلا أنسى .

الـرجـــل ٢ : وكيف نحيط بالظروف المتقلبة التى تواجهك؟

الـشـــــاب : الزحام هناك شديد وهو خليق بأن يشتت الذاكرة .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط. الشاب يصرخ)

الـرجـــل ١ : مـاذا فـعلت بيـومك الطويل؟ . . لِـمَ قـصـدت مـيـدان القلعـة؟

الـشـــــاب : كنت أسير على غير هدى .

الـرجـــل ١ : تسير على غير هدى وأنت لم ترسَل إلى هناك إلا لمهمة؟

الـشـــــاب : كان اليوم عطلة .

الـرجـــل ٢ : ألم تقل لك القلعة شيئا يذكرك بمهمتك؟

الـشـــــاب : زلّت قدمى فوقعت على ركبتى .

(الرجل ٢ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الـرجـــل ٢ : ألـم يوح المطعم لـك بشىء؟ . . ولا المقـهى؟ . . ولا دار الآثار؟ . . ولا صالة المزاد؟ . . ولا عيادة الطبيب؟

(الشاب يصمت فى يأس)

: وماذا جاء بك إلى الخلاء؟

الـشـــــاب : فتــــاة .

الـرجـــل ٢ : ولِـمَ اخــتــرت للّقــاء مكانا هو أصلح لدفن الموتى؟

(صمت)

: لم يذكرك اللقاء بشىء عن مهمتك؟

الشـــــاب : ثمة رجل كريه كان يتبعنى طول الوقت فشتت فكرى .

الـرجـــل ١ : حتى ذلك الرجل لم يذكّرك بشىء!

الشـــــاب : هو النحس نفسه ، وقد أفسد كل شىء .

(الرجل ١ يضربه بالسوط فيصرخ الشاب)

الـرجـــل ١ : ضيعت وقتك ووقتنا يا جبان .

الـرجـــل ٢ : وكانت الفرص تناديك من كل جانب يا أعمى .

الـرجـــل ١ : ولم نبخل عليك بالتحذير تلو التحذير .

الشـــــاب : ما تلقيت تحذيرا قط .

الـرجـــل ١ : كذاب غبى أعمى .

الشـــــاب : الرحمـــة!

الـرجـــل ٢ : الرحمة أم العدل أم الحرية؟

الـرجـــل ١ : أم فاتحات الشهية أم هرمونات الشباب؟

(يضربانه معا بالسوط وهو يصرخ متوجعا.

الرجل ١ يشير إشارة خاصة إلى الرجلين حاملى المشعلين.

الرجل ١ والرجل ٢ يذهبان إلى مكانهما الأول وراء الهضبة)

حامل المشعل : (مخاطبا الشاب) لمَ تحن أسراب الطيور المهاجرة إلى أعشاشها التى تركتهاَ فى الجبل؟

(يحمل الشاب بين يديه ثم يقول له)

: تذكر أن الطفل يبكى حين تنحيه أمه عن ثديها الأيمن ولكنه يجد فى اللحظة التالية سلوه فى ثديها الأيسر .

(يمضى حامل المشعلين فى مشية متمهلة والآخر يتبعه حاملا الشاب بين يديه)

(ســـتار)